

خازندار الأسدالذي يكافح من أجل النجاة

رامي مخلوف

يعيد الصراع في سوريا إلى طبيعته



• مخلوف يتحدث بالإشارة، عن شيء ما حصل منتصف العام الماضي، بعده بدأ ما سماه بالانهيار. والواقع أن ما حدث كان بداية استهداف الأسد وفريقَ زوجته أسمًّاء لمخلوف عبر الحجز على شركةً "بتروليوم سيرفيسز".

متكافئة من بدايتها. كانت تلك المعادلة



إبراهيم الجبين كاتب سوري

حلم تبدأ قصة رامي مخلوف ابن خال رئيس النظام السوريّ بشار الأسد، التي تشعل الجميع اليوم، عند بثه لمقاطع فيديو يشكو فيها من اضطهاد يتعرض له على يد من سماهم بـ"الطاقم المحيط بالرئيس" والذين ينوون الإطاحة به من عرشه الاقتصادي الذي تربع عليه طيلة حكم الأسد الابن، لاسيما في رئاسته لإدارة شركة "سيريتل" للاتصالات.

غير أن مخلوف، ودون أن يقصد، قام بإعادة الصراع الدائر في سوريا منذ تسعة أعوام إلى طبيعته الأولى، بعيداً عن الحروب الدينيـة والفتوحات التي رفع شعاراتها الإسلاميون والفتوحات الإيرانية المضادة الطاحنة بين سنة

تلك حكاية تعود إلى خمسينات القرن العشرين، حين قرر حافظ الأسد الرئيس السوري السابق، الارتباط بعمة رامى، ابنة واحدة من الأسر المرموقة في منطقّة الســاحل السوري، عرفت بقربهاً من الحزب القومى السوري الاجتماعي.

ىىن صفقتىن

واجه الأسد الأب حينها رفضا شــديداً من ذوي أنيســة مخلوف. ليس بسبب انتمائله لحزب البعث العربي الاشتراكي كما يشاع، ولكن في الواقع لاختلاف الانتماء الطبقي السرته عن أسرة مخلوف. ولكنه أصر على الرواج منها، وتم الأمر. ليتوارى آل مخلوف كما توارى غيرهم من أعيان العلويين سنين طويلة وسط التغييرات الهائلة التي عصفت بسوريا، ورفعت الطبقات المسحوقة لتحل محل نظيراتها البرجوازية والإقطاعية. كان شكلاً من أشكال الانتقام ساد في عالم القرن العشرين، دكتاتورية الفقراء التي سحقت الجميع. سحقت هندسة اجتماعية ما كان يمكن ترميمها إلا بصفقات عقدت هنا وهناك لتعبد تشكيل الواقع وفق توازن أتقن الأسد الأب صناعته وقيادته لاحقاً، حين ردّ الجميل لشقيق زوجته محمد مخلوف، وأطلق له العنان ليتولّئ مناصب رفيعة في عالم المال، بدأها من إدارة مؤسسة التبغ السورية، المؤسسة الثرية والتي حققت أرباحاً هائلة، ناهيك عمّا حصدته من هيمنة مخلوف الأب على سـوق تهريب التبغ بالتوازي. وكانت تلك بوابته

للعبور إلىٰ عالم الثروة،

لم تكن

التعويض الاجتماعى

عن تلك المصاهرة

التي رأى والده أنها

التي ابتكرها الأسد الأب كافية حينها، لرد الاعتبار لكثيرين أحاطوا به، ترك لنعضهم حقول النفط ولآخرين الأمن والجيش وصفقات السلاح، ولغيرهم الصناعة والتجارة وحتى النفوذ الديني بمختلف مذاهبه وطوائفه. لكنه كان المحور الذي تتقاطع عنده جميع الخطوط. وهــذا ما لم يســتمر في عهد ابنه بشار الذي كان وصوله إلى السلطة صفقة في حد ذاته، أديرت بعناية من قبل أطرافها المحدودة. ابن الأسد إلى الكرسي، وابن مخلوف إلى الاقتصاد، وابن وزير الدفاع مصطفى طلاس إلى قسط من الجيش وأبناء نائب الرئيس عبدالحليم خدام إلى الاستثمارات وهكذا بالنسبة إلى آخرين يعرف السوريون بعضهم ويجهلون كثيرين منهم. ليتم التخلص بالتدريج مما عُرف حينها بالحــرس القديم، باللــين حيناً

وبالقسوة في أحيان أخرى. رأى كثير من المنشعلين بالمشهد السورى أن صعود مخلوف رجل الأعمال الشاب تزامن مع اشتداد عود الرئيس



مخلوف يمثل ظاهرة واسعة الانتشار، يمكن رؤية امتداداتها في العديد من عواصم العالم، فأمواله تنتشر من خلال شركاته وشركات أخرى يمولها ويملكها آخرون، حتى روسيا التى يشكك البعض في موقفها منه، جدد استثماراته فيها السنة الماضية وفقأ لصحيفة «فایننشال تایمز»



كانت أول ردة فعل سياسية فوق عادية لنظام الأسد، بعد انفلات الأمور، تصريح شهير لمخلوف في مثل هذا الشهر قبل تسع سنوات، أدلي به لصحيفة "نيويورك تايمز" الأميركية قال فيه ملوحاً إنه "لن يكون هناك استقرار في إسرائيل، إذا لم يكن هناك استقرار في سوريا"، مؤكداً أن النظام سيقاتل حتيى النهاية ولن يستسلم بسهولة. وموضحاً ما يدور في ذهن النظام قبل حدوثه، وقبل ظهور أي مقاتل لا جهادي

هم البديل عن النظام". ويبدو أن من عرف ساعة البداية

ولا غير جهادى، عبر قوله إن "السلفيين

بدرك متئ ستكون ساعة النهاية لهذه المبررة التي

كان يمكن إصلاحه فيما لو استمع رئيس النظام فيه لنصائح طالبته أولاً بالتخلي عن رامي مخلوف ذاته.

الشاب. ففي الوقت الذي كان نفوذ

الأول بتعاظم مكتسحاً الاستثمارات

والشركات العاملة في سوريا، كان

الثاني بذلل له العقبات، مسلهلاً هيمنته علىٰ كُل من حاول افتتاح مشروع جديد،

حتى درجت طرفة تقول إن مخلوف لم

يتورع عن مشاركة أصغر بائع فلافل

لكن التحليل والوصف من بعيد،

ليس مثل العيان، كما يقال. ومن

سمع شكاوى رجال الأعمال السوريين

والأحانب الهامسة التي كانت تتردد في

المدن والأرياف السورية منذ العام 2000

وحتىٰ انفجار الأوضاع السـورية، يدرك

الحجم الحقيقي للسرطان المالي الذي

ضرب البلاد بستبب ذلك التحالف بين

أساسياً حثيثاً تجاوز الغرض منه مسألة

جمع الثروة، إلى ربط الأمن بالاقتصاد.

فمجرد السماح بالاستقلال المالي لأي

نشاط في سيوريا بات يشكل تهديداً من

وجهة نظر النظام. كما كان تعهيد شركة

محافظات حدودية يعتمد سيكانها علي

التبادل التجاري مع العراق ولبنان

وتركيا والأردن. وهكذا خنق العمل

الخاص بيد من حديد، لذلك ليم بكن

مستغرباً أن يكون اسم رامي أول اسم

تهتف ضده المظاهرات المطالبة بالتغيير

أمن النظام

كان ابتلاع سوريا اقتصادياً نهجاً

بدمشىق فى تجارته.

أمن النظام تعرض بدوره لسلسلة من التقشير، أزاحت عنه الـدروع التي كانت تحميه، حتى بعد أن لجا إلى الإيرانيين الذين يعانون اليوم بسبب العقوبات وطول الحروب التى شنوها في المنطقة العربية، وإلى الروس الذين أخَّذوا يتململون من حرب لا هدف لها. قد يدفعون فيها أكثر مما كسبوا بكثير. وكل ذلك كان يمكن أن تجري

معالجته، إذا ما قرر الأسد ومن حوله مواصلة سياسة تدوير المشكلات وإعادة إنتاجها، لـولا أن الصدع هذه المرة طال الحلقة الضّيقة ذاتها. فضرب رامي مخلوف سيعنى ضرباً للأسد ذاته، ولا يهم من هو الطرف الذي يوجه الضربات، سواء كان زوجة الأسد أسماء الأخرس وفريقها وأقاربها، أو الروس أو الإيرانيين أنفسهم. لأن النتيجة ستضعف الأسد وحده.

وقبل أقل من ثمان وأربعين ساعة،

الهواتف المحمولة لمخلوف ضرورة أمنية بدأت حرب من نوع آخر أعلنتها وسائل الإعلام الإيرانية، هدفها مخلوف على حد تعبير المقربين من رأس السلطة، ومشاريعه وجمعياته. فقد انتقدت قناة وليس مجرد مزايدة حكومية. "العالم" مخلوف، ووصفته بـ"المدعى" ومع الوقت أخذ دور الخازندار واستنكرت أعماله الخبرية بالقول إنه الذي لعبُّه محمد مخلوف الأب، ينتقل "يتصدق على السوريين من جيوبهم"، إلىٰ ابنه رامي، وبقى هو مكتفياً بإدارة مؤسسات مالية موازية مثل البنك بعد إعلانه مع نهاية شهر رمضان عن العقارى وشؤون القروض وسواها. أما تحويل مبلغ مليار ونصف مليار ليرة إلى "جمعية البستان" لتوزيعها على رامي فقد اتجه إلى تطويق المزيد من نفوذه على الأسواق الحرة في المناطق عن مصدر خاص زودها بالمعلومات من داخل "جمعية البستان" قوله إن الحدودية السورية، بـرأ وبحراً وجواً. علماً أن جميع المحافظات السورية هي

"مخلوف يسعىٰ ومن خلال استغلال اســم الحمعية لدس السم في العسل واستمالة شريحة واسعة منّ الشارع السـوري، وأنه علىٰ ما يبدو محشور في الزاوية".

ذات يوم، وكانت ذروتها تبرؤ شقيقه إيهاب مخلوف منه وإعلانه ولاءه التام للأسد. ليبدو أن أمن "أسرة النظام" هو اليوم في أسوأ أحواله

> مخلوف الجديد. ىتحدث مخلوف بالإشارة، عن شىيء مّا حصل منتصف العام الماضي، بعده

ىدأ ما سما*ه* بالانهيار. وما حدث حقاً في الواقع، كان بداية استهداف الأسد لمخلوف، عبر الحجز علىٰ تدور في بلد



10 مليارات ليرة. ولم يكن ذلك الإجراء حينها سوى تلويح أولى، لكن مع الوقت اكتشف، كما يقول، أن الأمر مبرمج، وأن هناك من يترصده وينوي القضاء عليه. لكن من هو عـدو مخلوف الحقيقي

في الصورة السورية المعقدة؟ هل هي بِالْفِعِلِ أَسِماءِ الأُسِدِ؟ أم ماهِر شيقيقً بشار؟ أم الروس الذين يرى البعض أنهم بعد استيلائهم على ميناء طرطوس وقاعدة حميميم وتوقيعهم لعقود استثمار النفط، بقيت أمامهم غنيمة كبيرة يدركون جيداً أنها بانتظارهم عند

حطب رامی مخلوف

يراهن رجل الأعمال الذي كان يهيمن علىٰ ثلاثة أرباع الاقتصاد السوري، عبر خطابه المستجد المطعم بالآيات القرآنية والنوايا الطيبة على استدراج جمهور اشتغل عليه بحكم وظيفته كواجهة





إيران تشن في هذه الأيام حرباً من نوع آخر عبر وسائل الإعلام التابعة لها، هدفها مخلوف ومشاريعه وجمعياته. كما تفعل قناة «العالم» التي تصفه بـ«المدعى الذي يتصدق على السوريين من جيوبهم»

جمهوره داخل الطائفة العلوية ذاتها، والتي ما زالت تكنّ لأسرته الاحترام والتقديس لأسباب عشائرية دعمتها التقدمات المالية والحصص التي وزعها على غالبية أفرادها من بسطائهم إلى

يحاول إرسال برقيات عديدة من خلال

ظهوره البصرى بتلك الطريقة، ليقول إن

إحراقه سيعني إحراق النظام، وحين لم ينفعه ذلك في وقـف الإجراءات المتخذة ضده تحدث صراحة عن انهيار ما لا يعلم إلا الله أين سيكون. صحيح أن الأسيد لم يستجب لنداءاته، إلا أن مخلوف لا يبالغ في تقدير حجمه ضمن بنية النظام، فهو ليس غازي كنعان الذي لا يتجاوز سقف الضابط المأمور، مــود الزعبى رئيس الوزرا الأسبق الذي كاد يمزق ثيابه بكاء في جنازة باسل بكر الأسد الأب ومعروفة حدود قدرته علىٰ التمرد. مخلوف بمثل ظاهرة واسعة يمكن رؤية آثارها في العديد من عواصم العالم، فأمواله تنتشّر من خلال شركاته وشركات أخرى بمولها ويملكها أخرون، حتى روسيا التي يشكك البعض في موقفها من مخلوف، قام بالاستثمار

تايمز" التي تحدثت عن أملاك جديدة لمخلوف وسط موسكو، عبر شراء أكثر من عشرين شقة سكنية بقيمة أربعين مليون دولار. لكن الروس يعلمون أن هذا المبلغ لا يشكل سوى بعض "الفكة" في جيب مخلوف الذي

الأمنة متعددة الجنسية. وكل ذلك بجعل من ثمن رأسه أغلى بكثير مما يتصور البعض، ميزة تجعل المحافظة عليه حياً أهم بكثير من التخلص منه على طريقة الزعبى وكنعان وغيرهما. وهذا أهم ما في حطب مخلوف الذي يعرضه لمتابعيه عبر مقاطع الفيديو التي ينشرها على صفحته على فيسبوك.